

الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية
شعبة الفلسفة

الحرية في الخطاب العربي المعاصر

_ دراسة فلسفية اجتماعية _
مشروع رسالة دكتوراه في الآداب _ قسم الفلسفة _

إعداد

لينا محمد الحبال

بإشراف

الأستاذ الدكتور أحمد نسيم برقواوي

شكر و تقدير

جزيل شكري للأستاذ الدكتور أحمد نسيم برقاوي ، الذي عاش الحرية بقدر ما نظر لفلسفتها، فأفسح لي المجال واسعاً كي أحيأ تجربتي الخاصة في الحرية من خلال هذا البحث ، دون أن يصادر أفكاري وتوجهاتي وتطلعاتي ، ذلك أن الحرية لم تكن لديه شعاراً أجوف بل كانت شعوراً و حياة وممارسة .

وخالص امتناني له أيضاً على الجهد الذي بذله إلى جانبي ، كي تخرج هذه الرسالة إلى النور بصورتها الأمثل .

الفهرس

رقم الصفحة	مقدمة
٣٥_١	<p>الفصل الأول : الحرية في تجربة عثمان أمين الجوانية :</p> <p>أولاً _ مدخل إلى مفهوم الحرية .</p> <p>ثانياً _ الجوانية هي الإطار النظري للحرية .</p> <p>ثالثاً _ مستويات الحرية في التجربة الجوانية :</p> <p>١ _ المستوى الأنطولوجي .</p> <p>٢ _ المستوى المعرفي _ العملي .</p> <p>٣ _ المستوى التاريخي : من الحرية إلى التحرر .</p> <p>رابعاً _ خلاصة : فن التحرر الجواني .</p>
٧٧_٣٦	<p>الفصل الثاني : الحرية في تجربة عبد الرحمن بدوي الوجودية :</p> <p>أولاً _ مغزى المشروع الوجودي لدى عبد الرحمن بدوي .</p> <p>ثانياً _ الحرية في نظرية الوجود .</p> <p>١ _ تأسيس الحرية في إطار معنى الوجود وخصائصه .</p> <p>٢ _ تعين الحرية في مستويات الفعل الحر .</p> <p>٣ _ طبيعة الفعل الحر وتعيناته في أحوال الإرادة .</p> <p>أ _ المخاطرة .</p> <p>ب _ الطفرة .</p> <p>ج _ التعالي .</p> <p>ثالثاً _ خلاصة من الحرية إلى التحرر :</p> <p>١ _ خلاصة القول في الحرية في تجربة بدوي الوجودية .</p> <p>٢ _ التحرر الوجودي ، آفاقه ، منطقه وحدوده .</p>

- أولاً _ مدخل إلى مفهوم الحرية .
- ثانياً _ نحو تأسيس نظرة علمية _ موضوعية إلى الكون .
- ثالثاً _ الحرية في لحظتها المجردة .
- ١ _ تأسيس الحرية .
- ٢ _ تحديد الحرية :
- أ _ مفهومها .
- ب _ شروطها .
- ج _ محدداتها .
- رابعاً _ الحرية في لحظتها المتعينة : التطور التاريخي لمفهوم الحرية .
- خامساً _ أبعاد التحرر : أدواته ومضامينه :
- ١ _ البعد الثقافي للتحرر :
- أ _ العلم .
- ب _ الفلسفة الموضوعية _ العلمية .
- ٢ _ البعد الاقتصادي _ الاجتماعي للتحرر :
- أ _ الاشتراكية بين النظرية والتطبيق .
- ب _ القوانين العامة للاشتراكية .
- ج _ التجربة الاشتراكية المصرية .
- د _ دور الدين والقومية في التجربة الاشتراكية العربية .
- ٣ _ البعد السياسي للتحرر : الديمقراطية .
- سادساً _ آليات التحرر : الثورة الاجتماعية بين الثقافة والسلطة :
- ١ _ الثورة الثقافية .
- ٢ _ المثقف والسلطة .
- سابعاً _ خلاصة : أسلوب التحرر منطقته ، آفاقه ، وحدوده في تجربة العالم الماركسية .

الفصل الرابع : الحرية في تجربة محمد عزيز الحبابي الشخصية الإسلامية: ١٤١_٢١٥

أولاً _ مدخل إلى مفهوم الحرية .

ثانياً _ التأسيس الفلسفي للتححرر :

١ _ الإطار الفلسفي لمسألة الحرية .

٢ _ فلسفة التشخصن هي الإطار التأسيسي للتححرر .

٣ _ لحظات التشخصن ومضامينه :

أ _ اللحظة الأنطولوجية : الكائن .

ب _ اللحظة المعرفية : الشخص .

ج _ اللحظة القيمة _ الأخلاقية : الإنسان .

ثالثاً _ مفهوم التححرر :

١ _ تحديد التححرر من جهة فعاليته .

٢ _ تحديد التححرر بوصفه حالة حرية .

رابعاً _ تعيينات التححرر :

١ _ العمل .

٢ _ الملكية .

خامساً _ أدوات التححرر :

١ _ العلم وتطبيقاته العملية .

٢ _ الفلسفة .

٣ _ الفن .

٤ _ الفعالية السياسية والديمقراطية .

سادساً : خلاصة : مغزى الشخصية الإسلامية منطقتها ومنهجها :

١ _ مغزى الشخصية الإسلامية وأهميتها .

٢ _ منطق الحرية الشخصية الإسلامية .

٣ _ منطق التححرر الشخصي ، منهجه ومغزاه .

الخاتمة .

المقدمة

الموضوع وأهميته :

مشكلات الفلسفة ، في الغالب ، لا يستنفد القول فيها ، لأنها مشكلات مفتوحة على كل العصور ، ومنتصبة أمام كل الأجيال دون أن يعني ذلك أن بعضها لم يصبه البلى ، غير أن هناك مشكلة لا يمكن لأحد أن يقدم القول الفصل فيها ، مشكلة معاشة إلى الحد الذي لا نستطيع معه العيش خارج وعينا بها ، وخارج دفاعنا عنها ، وخارج الإحساس بفقدانها ألا وهي مشكلة الحرية. ولست في حال المبالغة إن أشرت إلى أنه إذا كانت الحرية مشكلة منتصبة أمام الخلق ، فإنها أمامنا نحن العرب مشكلة مصير ، وآية ذلك أننا منذ صدمة الحداثة وحتى الآن نحاول أن نغذ السير على دروبها ، غير أن الدروب مليئة بالعثرات ، دروب كلما اعتقدنا أنها سالكة نحو امتلاك الحرية، سُدت أمامنا بأشكال متعددة من الصخور ، فنغدو إذ ذاك بدل أن نستمر في السير والسعي من أحلها ، نراكم على ما مضى من تاريخ منشغلين بإزالة تلك الصخور .

ويبدو لي أن تناقضات حياتنا لم تعد تسمح بطرح مشكلات زائفة ، بل لا بد من طرح المشكلات الحقيقية ، وأي مشكلة تنطوي على حقيقة أسطع من مشكلة الحرية ؟ ! .
أبعد هذا يسأل سائل لماذا اخترنا الحرية موضوعاً لرسالتنا !!

والحقيقة أن الحرية ، منظوراً إليها من جهة الهوية الذاتية لمفهومها ، هي واحدة من أمهات الإشكاليات الفلسفية الأصيلة والكبرى.

نقول إشكالية لأنها تحيل إلى منظومة من العلاقات التي تنسجها جملة من المشكلات العديدة المترابطة التي لا تتوافر إمكانية حلها منفردة ولا تقبل الحل من الناحية النظرية إلا في إطار حل عام يشملها جميعاً .

أما أصلاتها فترتبط بسمتها الإشكالية ارتباطاً عضوياً ، وتفهم أيضاً في إطارها ، وأصالة الحرية تتمثل في كونها حاجة ومطلباً إنسانياً ، فضلاً عن كونها واحدة من المقولات التي لا يستنفد البحث فيها على الإطلاق ، لا بل كلما ازدادنا تعمقاً وبحثاً ، ازدادت غنى وثراء وحيوية .

وأنى للتفكير الفلسفي أن يستنفد بحثه في الحرية وهي من الفكر ذاته الماهوية وموضوعه أيضاً! .
 كما تتجلى أصالة الحرية في راهنتها المستمرة ، الأمر الذي لا يصح معه نعتها بالجددة .
 فالحرية مسألة راهنة باستمرار ، راهنية مقولة الوجود ، الروح ، الفكر ، الحق ، الخير إلخ
 وهي راسخة في الإنسان ذلك الكائن العاقل ، الذي يحمل وعياً ذاتياً هو منبع كرامته ومصدرها ،
 إذ من خلاله يعي ذاته بوصفه أنا ، لا يتماهى مع العجماوات ولا مع الطبيعة ، ومن خلاله أيضاً
 يدخل عالم القيمة والتقويم فيميز بين القبح والجمال ، الحق والباطل ، الخير والشر ، فيرفض
 الوضاعة والذل والهوان ويسعى جاهداً إلى استكمال ذاته وتحقيقها ، والارتقاء بجيئاته إلى المستوى
 اللائق بكرامته الإنسانية . والحرية راسخة في الإنسان ، بوصفه أيضاً ذلك الكائن الميتافيزيقي ،
 دائم التوتر بين الضعف والقوة ، النقص والكمال ، دائم التساؤل عن مغزى وجوده وعن مآله
 ومصيره ، دون أن يكف خلال مسيرة وعيه لذاته عن تجاوز ذاته ، والتمرد على حدوده .
 أما ثراء الحرية ، الذي لا ينفك عن أصالتها وراهنيتها ، والذي يتجلى أكثر ما يتجلى في عدم
 إمكان تحديدها بتعريف جامع مانع واحد ، فيجد تفسيره في هويتها الذاتية عينها ، ذلك أن
 الحرية ، بوصفها كذلك ، تتأبى على الأسر داخل الأروقة الأكاديمية التخصصية ، فهي موضوع
 الشباب والكهل ، الغني والفقير ، المتعلم والأمي ، المتدين والعالم .
 وهي لكونها عين الوجود الإنساني ، وحقيقته الماهوية بوصفه عاقلاً ، فهي تتغلغل في فعاليات
 هذا الوجود ، الأمر الذي يجعلها موضوعاً للاقتصاد والعلم والسياسة والفلسفة والأخلاق والفن
 والدين ، دون أن تستغرق في أشكال تعينها ، أو تتماهى معها .
 أما اختيار الفكر العربي المعاصر حقلاً تاريخياً لهذه الدراسة الأكاديمية ، فمرده إلى أن الحرية لم
 تكن مجرد مشكلة من المشكلات المختلفة والمتعددة التي طرحها هذا الفكر واهتم بها ، بل برزت
 بوصفها إشكاليته المركزية والمعضلة في آن واحد ، ولن نكون مغالين لو قلنا إن كبرى المشكلات
 التي شغلت المفكرين العرب المعاصرين ، كالتقدم ، العقلانية ، العلمانية ، الهوية ، الديمقراطية ،
 والسلطة ، ماهي إلا التعينات الفكرية المختلفة لإشكالية الحرية ، وقد أفصحت عن نفسها في وعي
 النخبة المفكرة في صيغة السؤال عن التحرر ، وعن أساليبه وأدواته الممكنة .
 وقد حصرت هذه الرسالة اهتمامها بالمفهوم الفلسفي للحرية ، ومن هنا كان من الطبيعي أن
 توجه عنايتها إلى أولئك المفكرين الذين صاغوا مشاريعهم التحررية ، وقاموا بتأسيسها ، استناداً إلى

مفهوم فلسفي دقيق للحرية ، يكشف عن منطقتها ، ويفصح عن هويتها الذاتية ، وقد حددتهما رؤيتهم الفلسفية الخاصة للإنسان والعالم والآخرين .

ولما كان اهتمام الرسالة منحصرًا بأولئك الذين أنتجوا وعياً فلسفياً بالحرية ، وصاغوا مشاريعهم التحررية استناداً إليه ، فقد وقع الاختيار على كل من : (عثمان أمين) ، صاحب التجربة التحررية الجوانية ، و(عبد الرحمن بدوي) ، صاحب التجربة التحررية الوجودية ، و(محمود أمين العالم) ، صاحب التجربة التحررية الماركسية ، و(محمد عزيز الحباي) ، صاحب التجربة التحررية الشخصية الإسلامية _ الواقعية .

سعت هذه الرسالة إلى فض المفهوم الفلسفي للحرية ، لدى أولئك المفكرين الذين يمثلون اتجاهات فلسفية ، اختلفت في مغزاها ومرماها ، وقامت بدراسته دراسة تحليلية _ نقدية ، وذلك في ارتباطه بمفهوم التحرر الذي يؤسس له ، مستهدفة بذلك الكشف عن معنى الحرية ومغزاها ، وعن أسلوب التحرر ومضامينه وحدوده لدى كل اتجاه تحرري على حدة .

ولم يكن اهتمام الباحث بالهوية الذاتية للحرية ، وانشغاله بالكشف عن منطقتها ، أمراً مفترقاً للتسويع ، كما أنه لا يضمّر أي شكل من أشكال التعالي على الواقع ، وعدم الاكتراث بالصيغ الاجتماعية _ السياسية لهذا المفهوم .

فما يسوغ الاهتمام بالمفهوم الفلسفي للحرية ، هو الموقع الذي تشغله هذه الرسالة في قسم الفلسفة ، وليس في أي قسم آخر ، والاعتقاد الجازم بأهمية الفعل الفلسفي النظري والعملي ، ودوره الفاعل في الواقع ، وهو اعتقاد تسوغه الحقيقة الفلسفية المتمثلة في أن ارتباط الفكر بالواقع لا ينفي عنه استقلاله ، الذي يفصح عن نفسه في قدرة الإنسان الصميمة على تجاوز الواقع عبر فهمه والتشريع له ، والارتقاء به إلى مستوى القيم اللائق بالكرامة الإنسانية .

وما يعزز هذا الاختيار افتقار المكتبة العربية إلى دراسات فلسفية تخصصية ، تعنى بفلسفة الحرية ، وتسلط الضوء على الاتجاهات الفلسفية العربية المعاصرة ، التي أنتجت وعياً فلسفياً بالحرية ، وأسست مشاريعها التحررية ، وصاغت استناداً إلى هذا الوعي ، بوصفه القاعدة النظرية المحددة لأساليب التحرر وأشكاله ومضامينه .

أما عدم التعرض مثلاً لـ (زكي نجيب محمود) ، ممثل المدرسة الوضعية المنطقية ، و (يوسف كرم) ممثل المدرسة التوماوية ، فلم يكن من باب تجاهل القيمة الفلسفية لهذين المفكرين ، أو للمدرستين الفلسفتين اللتين يمثلانهما .

بل إن ذلك يرجع لمقتضى منهجي استدعته حدود الرسالة ، وآية ذلك أن (يوسف كرم) ، الذي تشف فلسفته في الحرية عن مثاليته العقلانية في التحرر ، لم يصغ مشروعاً تحريراً تؤسس فيه الحرية كمفهوم كلي ، أسلوباً معيناً للتحرر وتعيينه .

أما ممثل الوضعية المنطقية ، (زكي نجيب محمود) ، فعلى الرغم من أن الحرية كانت هاجساً فلسفياً مؤرقاً له ، أفصح عنه في رسالته في الدكتوراه التي تحمل عنوان " الجبر الذاتي " ، وكان التحرر بالنسبة له بمثابة الفكرة _ القوة ، التي وجهت إنتاجه الفلسفي عموماً ، كما وجهت دعوته إلى تجديد الفكر العربي ، إلا أنه لم يصغ مشروعاً فلسفياً في التحرر تؤسس فيه الحرية ، بوصفها مفهوماً كلياً ، أسلوباً محدداً للتحرر وتعيينه .

أما دعوته إلى تجديد الفكر العربي ، في إطار التوفيق والمواءمة بين التراث والمعاصرة ، فتعد ، باعتبارها صيغة من صيغ التحرر ، إحدى تعينات هذا الأخير لديه .

إشكالية البحث :

برز السؤال الفلسفي حول الإنسان ، ذلك اللغز الذي حير عقول الفلاسفة وأقضى مضاجع المفكرين على مر العصور ، بوصفه سؤالاً محورياً حدّد إشكالية الحرية وعينها لدى الاتجاهات الفلسفية موضوع الرسالة .

فلقد ، صاغت الرؤية الفلسفية للإنسان ، والعلاقات الأساسية التي تحيل إليها إشكالية الحرية ، وحددت حقيقتها الماهوية ، والمنطق الناظم لها ، كما حددت منطق التحرر وأسلوبه ومضامينه الأساسية لدى كل اتجاه .

ففي تجربة عثمان أمين الجوانية حدد التعارض المطلق بين عالم الروح الذي ينظمه قانون الحرية ، وعالم المادة الذي ينظمه قانون الضرورة ، والذي أعرب عن نفسه في الثنائيات : روح/مادة ، نفس روحانية / بدن ، عقل / حس ، طبيعة الحرية وإشكاليته .

برزت الحرية ، في الجوانية ، بوصفها إشكالية الإنسان في توتره ونوسانه بين قطبين متنافرين ،
 متراتبين قيمياً : قطب روحي _ كلي أعلى تمثله الروح ، ومبدؤها الحرية ، وقطب مادي _ فردي
 أدنى يمثله البدن ، وما يجيل إليه من أهواء وشهوات .
 وبذلك أكتسبت الحرية طابعاً قيمياً _ أخلاقياً صميمياً ، وأصبحت إشكاليته تحيل إلى مسألة
 تتجاوز الذات لبعدها الفردي ، وتحقيق بعدها الكلي تحققاً يفصح عن سيادتها على ذاتها .
 فتمثلت إشكالية الحرية في السؤال التالي : كيف تكون الحرية ممكنة في إطار العلاقة الإشكالية
 بين الجواني _ البراني ، الروح _ البدن ، العقل _ الحس ؟
 وتفرعت عن هذا السؤال الإشكالي أسئلة متعددة من أهمها :
 ما المنهج الذي يمكن الذات من تحقيق سيادتها في ظل الضرورة وجبرها وقهرها ؟
 ما الفعاليات التي ينطوي عليها هذا المنهج ويستدعيها ؟
 ما آفاق الدور المناط بالعلم من جهة ، وبالدين من جهة أخرى ، في تحقيق السيادة على الذات .
 وما هي حدود دور كل منهما ؟
 ومع عبد الرحمن بدوي ، ننتقل من جو فلسفي ، ذي نزعة صوفية ، إلى جو فلسفي مشوب
 بنزعة فردية ارسطراطية ، ومختلف تمام الاختلاف عن نظيره الجواني .
 فمع الاتجاه الوجودي ، ممثلاً بدوي ، انتقلت الحرية وإشكاليته من سماء المثل العليا ، وفضاءاتها
 الكلية ، إلى فضاء الوجود المتعين والمتزم .
 فالوجود الإنساني المتزم عند بدوي ، وجود يتسم بالذاتية الشاعرة بذاتها ، والتي تنتمي إلى
 حقل الشعور ، ونظام الوجدان ، وهما منفصلان تماماً عن حقل العقل ونظام العلية .
 ويتسم الوجود الإنساني أيضاً بالاستقلال التام عن أي نظام فكري ، أو طبيعي ، أو ميتافيزيقي
 مطلق ، من شأنه أن يفني الفرد فيه ليصبح أداة من أدوات تحقيقه .
 كما يتسم هذا الوجود بالفردية المطلقة ، التي تقوم على الانفصال ، الذي اتخذ في وجودية بدوي
 وجوهاً متعددة هي : الهوة الأنطولوجية ، في الوجود الإنساني ، بين الوجود الماهوي الممكن وبين
 الوجود المتحقق ، والهوة بين الوجود الذاتي والوجود الفيزيائي ، والهوة بين الأفراد ، والتي تجعل كل
 فرد أشبه بجزيرة مغلقة على نفسها ، منعزلة عن الآخر .

وفي إطار هذا الوجود وما يتسم به من سمات الفردية ، والاستقلال ، والذاتية ، اكتسبت الحرية طابعاً فردياً مطلقاً ، فبرزت بوصفها إشكالية الوجود الإنساني في تحقيق إمكاناته تحقّقاً ، ينتقل به من مستوى الوجود الماهوي الممكن إلى مستوى الوجود المتحقق .
وقد تضمنت هذه الإشكالية جملة من الأسئلة الفرعية من أهمها :

ما الصيغة الفلسفية للحرية في إطار وجوه الانفصال التي تقوم عليها الفردية وتتقوم بها ؟
وما التعينات العملية التي يتخذها الفعل الحر في جريان تحقق الوجود الذاتي ، في إطار صور الانفصال المتعددة التي تقوم عليها فرديته ؟؟ .

ما المضامين التحررية الممكنة التي يتخذها الفعل الحر ، في جريان تحقّقه ، منظوراً إليه في إطار استقلال الوجود الذاتي عن أي نظام كلي مطلق ، فكري أو طبيعي أو ميتافيزيقي ؟؟ وفي إطار الانفصال ، في الوجود الذاتي نفسه ، بين نظام الشعور ونظام العقل ؟؟
من وجودية عبد الرحمن بدوي إلى مار كسية محمود أمين العالم ، انتقال من دراما الوجود الفردي ، الارستقراطي والمنعزل ، إلى ملحمة الإنسان المناضل على أرض الواقع ، ومع الآخرين ، وانتقال أيضاً من الوجود الذاتي ، أسير الشعور ، إلى الإنسان المنفتح على العالم ، وعلى الآخرين ، والملتحم بالواقع الاجتماعي ، وقضايا ومشكلاته الكبرى .

فمع العالم لم تعد إشكالية الحرية هي إشكالية الوجود الذاتي المهموم بذاته ، وبتحقيق إمكاناته بالتعارض مع الآخرين ، كشأنها لدى بدوي ، كما لم تعد إشكالية السيادة على الذات ، في إطار التعارض بين الروح والبدن ، وبين الحرية والضرورة ، وبين الجواني والبراني ، كشأنها لدى أمين .
لقد اتسعت آفاق الحرية ، مع العالم ، واكتسبت إشكاليته أبعاداً ومضامين أكثر غنى وعمقاً .
فبرزت الحرية في تجربة العالم الماركسية ، بوصفها إشكالية ذات طابع اجتماعي صميمي ، ذلك أنها تحيل إلى مشكلة العبودية ، وترتبط ارتباطاً مباشراً بالواقع الطبيعي ، الذي تنظمه الضرورة ، والواقع الاجتماعي الذي يسوده الاستغلال الاقتصادي ، والاستبداد السياسي ، وما يفضيان إليه من أشكال الاستلاب ، التي تحول دون ازدهار المجتمع وتقدمه .

وتمثلت إشكالية الحرية لدى العالم في مسألة الكشف عن سبل وآليات وأدوات إنتاج شروط اجتماعية من شأنها قهر الاستلاب بكافة أشكاله الاقتصادية ، السياسية ، والثقافية ، بما يتيح تقدم المجتمع وازدهار أفراداه .

وقد تفرعت عن هذه الإشكالية جملة من الأسئلة ، أهمها :

ما الصيغ الاجتماعية ، السياسية والاقتصادية ، التي تكفل تحقيق العدالة الاجتماعية ؟

ما دور التغيير الثقافي في عملية التغيير الاجتماعية ؟

ومع شخصية محمد عزيز الحبابي الإسلامية ، اكتسبت الحرية وإشكالياتها أبعاداً ومضامين فلسفية أكثر غنى وعمقاً ، من نظيراتها في الجوانب ، الوجودية ، والماركسية .

وقد حددت الرؤية الفلسفية الشخصية للإنسان ، والتي اضطلع الحبابي من خلالها بتجاوز الرؤية الفلسفية المثالية ، والرؤية الفلسفية المادية ، ومن ضمنهما الرؤية الفلسفية الماركسية ، والرؤية الفلسفية الوجودية ، إشكالية الحرية وعينتها لديه ، فاتخذت هذه الأخيرة وجهة جديدة ، ذات آفاق ومضامين ، جديدة بالأخذ بعين الاعتبار ، وقد ألقت في ترابطها أبعاد إشكالية الحرية في الشخصية الإسلامية .

برز الكائن البشري ، لدى الحبابي ، بوصفه كينونة واعية لذاتها ، لا ينفك بعدها الخارجي ، المادي_ الاجتماعي ، عن بعدها الداخلي_ الوجداني ، ولا عن بعدها الروحي المتصل بالمتعلق. والكائن البشري ، بمقتضى ما تقدم ، هو كائن في علاقات ، فهو مرتبط بذاته بحكم الوعي الذاتي ، ومرتبب بالله ، عبر الشهادة ، التي يقر من خلالها بالوحدانية لله ، كما أنه مرتبط بالعالم ، ومرتبب بالآخرين برباط الأخوة التي تستمد أساسها من وحدة الجنس البشري .

ومن هنا ، فالكائن البشري ليس ثنائية من روح وجسد ، وليس حقيقة فردية تستبعد سمته المجتمعية ، كما أنه ليس حقيقة اجتماعية تستبعد فرديته ، بل إنه وحدة تلازم ، وترابط ، وتكامل كلية روح/جسد ، وكلية أنا/نحن .

غير أن هذه الوحدة غير ناجزة ولا جاهزة ، بل إنها متضمنة في مفهوم الكائن البشري_ الشخص ، بوصفه إنساناً قيمياً ، يميز بين القبح والجمال ، الحق والباطل ، والخير والشر ، وهذه الوحدة المستهدفة هي محور إشكالية الحرية .

في ضوء ما تقدم اكتسبت إشكالية الحرية ، في الشخصية الإسلامية ، صبغة عملية صميمية ، لا ينفك فيها الطابع الشخصي عن الطابع الاجتماعي ، كما لا ينفك الطابع الأخلاقي عن الطابع الاقتصادي والسياسي .

فإشكالية الحرية هي إشكالية الكينونة في تحقيقها لذاتها أي وحدتها ، وذلك بوصفها كرامة ، تتعارض مع كل أشكال العبودية الداخلية والخارجية ، التي تحول دون سيادتها على ذاتها . وقد اتخذت هذه الإشكالية وجوهاً متعددة مترابطة ومتلازمة رغم تمايزها :

فإشكالية السيادة الداخلية على الذات ، عبر السيطرة على الأهواء ، وضبطها ضبطاً توجّهه القيمة الأخلاقية ، لاتنفك ، في رأي الحبابي ، عن إشكالية السيادة الخارجية ، عبر مغالبة القوى الطبيعية بتسخيرها لخدمة المجتمع ، تسخيراً توجّهه القيمة الأخلاقية وتقوم بضبطه . كما لاتنفك إشكالية السيادة بوجهها الداخلي والخارجي ، عن إشكالية التغيير الاجتماعي واستحداث نظام اجتماعي ، اقتصادي وسياسي توجّهه القيمة الأخلاقية ، وتضبطه بمعاييرها ، ضبطاً يضمن سيادة الشخص ، في إطار نظام يحقق العدالة الاجتماعية والديمقراطية .

وهنا تبرز أسئلة متعددة تنفرع عن الإشكالية السابقة ، ومنها :

ما صيغة التملك التي تقترحها الشخصانية الإسلامية ، والتي تتجاوز بمقتضاها شكل التملك الفردي الليبرالي ، وشكل التملك الجماعي الماركسي ؟ وما هو المنهج الذي يقوم بضبط عملية التغيير الاجتماعي ، بما يضمن حرية الشخص في إطار تحقيق مجتمع تسوده العدالة الاجتماعية ؟ ولئن كانت عملية التغيير وأدواتها في الشخصانية الإسلامية ، منضبطة بمعايير قيمة أخلاقية توجّهها ، فما الصيغة التي تضطلع بالمواءمة بين القيم الأخلاقية التي يحكمها منطلق الوجود ، وبين السياسة والاقتصاد الحكوميين بمنطق المنفعة والقوة ؟ وهل ثمة أمل يرجى في تحقيق هذه المواءمة بالفعل ؟

ويمكن إجمال الأسئلة الفلسفية ، التي نسجت إشكالية الحرية ، في ارتباطها بالتححرر ، لدى الاتجاهات الفلسفية في مجموعات التساؤلات التالية :

• فيما يخص ماهية الحرية وطبيعتها ، وهي مسألة فلسفية تجيب عن السؤال الفلسفي ما الحرية؟ برزت التساؤلات التالية :

— ما الحرية ؟ أهى مبدأ الروح وقانونه ، في مقابل المادة التي ينظمها قانون الضرورة يجبره وقهره ؟ أم أنها ماهية الوجود الإنساني ؟ هل هي حقيقة الوعي الذاتي ؟ أم أنها حقيقة نفسية ، تؤلف خاصية الإرادة التي تحددها الميول والدوافع ؟؟ .

__ ما النظام الذي تنتمي إليه الحرية ؟ أنتنمي إلى حقل الشعور أو الوجدان باعتباره نظاماً مغايراً للعقل ؟ أم أنها حرية عاقلة ؟

• فيما يخص التحديدات السلبية والايجابية للحرية ، تبرز التساؤلات التالية :

__ ما المعضلة الحقيقية للحرية ؟ أهى الضرورة ، بوصفها حقيقة أنطولوجية ناظمة للعالم المادي ومنه البدن ؟ أم أنها العلية التي تنتمي إلى نظام العقل وتفضي ، على المستوى المعرفي ، إلى مشكلة الحتمية ؟ أم أن المعضلة الحقيقية للحرية هي العبودية ، وما تنطوي عليه من قسر وإكراه يفرضان إلى التبعية وانعدام الاستقلال .

__ ما التحديد الفلسفي الايجابي للحرية ؟ هل الحرية هي سيادة الذات على ذاتها ؟ أم أنها وعي للضرورة وسيطرة عليها ؟ هل هي اختيار أم أنها رفض وإنكار ؟؟

وتتفرع عن التساؤلات السابقة التي نسجت ، في ترابطها وتمايزها ، محور إشكالية الحرية ، جملة من الأسئلة الفلسفية ، التي تتعلق بالتححرر ، باعتباره الهئية العملية ، التي تجسد الحرية في سريان تحققها وجريانه ، وهي :

__ ما المضامين الأساسية للتححرر ، وممّ يتحرر الإنسان ؟

أيتحرر من الكليات الفلسفية كالروح المطلق ، الأنا المطلق ، أم من الله ، باعتباره مفهوماً دينياً يحيل إلى الماضي ، الدين ، والتراث ؟؟ هل يتحرر من عبودية الشهوات والأهواء أم يتحرر من الاستبداد والاستغلال ؟؟ .

__ هل تعطى الأولوية المنطقية للتححرر الداخلي ، ليكون بذلك أساساً للتححرر الخارجي ؟ أم أن للتححرر الخارجي أولوية منطقية على التححرر الداخلي ، ويكون عندئذ التححرر الخارجي المتمثل في إنتاج الشروط الاجتماعية للتححرر ، هو الأساس الذي يشرط التححرر الداخلي ؟

__ ما الأدوات الأساسية للتححرر العربي ؟ وما حقيقة دور العلم في عملية التححرر ؟ وهل للدين وظيفة تحريرية ؟ أم أنه أداة معيقة للتححرر ؟

__ أخيراً يبرز السؤال الفلسفي الأكبر ، ولعله السؤال الفلسفي الناظم للتساؤلات السابقة ، والمضمر في ثناياها : ما المنطق الناظم للحرية في علاقتها بالتححرر ؟ هل هو منطق القوة وما يستتبعه من الأخلاق الأنانية؟ أم أنه منطق القيمة الأخلاقية ، الذي تنظمه أخلاق الواجب ، وما تفترضه من تضامن وتعاون ؟ ؟

وهل يمكن إيجاد صيغة فلسفية للملائمة بين عالم السياسة ، الذي تحركه المصالح الأنانية وبين عالم القيمة الأخلاقية الذي يستهدف الكرامة الإنسانية ؟ ؟

وعلى الرغم من التمايز الجلي بين هذه الاتجاهات الفلسفية الأربعة ، من حيث تحديدها لمعنى الحرية ولشكل التحرر وأسلوبه ومضامينه ، فثمة ناظم إشكالي عام مشترك بينها ، ويتمثل في بروز السؤال عن الحرية في صيغة السؤال عن التحرر وأدواته الممكنة ، وأساليبه المثلى ، الأمر الذي يؤكد الانشغال بخطاب التحرر ، بوصفه الوجه العملي الذي يعرب عن الحرية في جريان تحققها ، على حساب الخطاب الفلسفي للحرية ، الذي يُعنى بهويتها الذاتية وحققتها الماهوية .

ويمكن القول ، إن غياب النظرية الفلسفية التي تُعنى بطبيعة الحرية يعكس ، على المستوى المنهجي ، البعد الإشكالي الناظم لهذه الاتجاهات ، والمتمثل في طغيان الهم العملي التحرري على الهم النظري الفلسفي .

وتلازم الاهتمام بالتحرر على حساب الحرية ، والذي أفصح عن نفسه على المستوى المنهجي بغياب النظرية الفلسفية ، مع الانطلاق من رؤى فلسفية مقتبسة من الفلسفة الغربية الحديثة فكانت ثنائية الروح _ الامتداد لدى (ديكارت) ، هي الرؤية الفلسفية التي انطلق منها (عثمان أمين) ، بعد تأويلها إسلامياً وذلك ، في تأسيسه للجوانية ، باعتبارها نظرة فلسفية إلى الإنسان وحرية وأسلوب تحرره .

كما كانت الرؤية الفلسفية للوجود ، لدى أهم أعلام الوجودية ولا سيما (هيدجر) ، المنطلق الفلسفي الذي اعتمده (عبد الرحمن بدوي) ، في تأسيسه لرؤيته الفلسفية للإنسان ، بوصفه وجوداً حراً متمزناً ، ولمسألة تحرره .

في حين برز المنهج المادي الجدلي ، بموضوعيته العلمية ، بوصفه الأساس النظري ، الذي حدّد ، رؤية (محمود أمين العالم) ، الفلسفية المادية لحرية الإنسان ، كما حدد أسلوب التحرر لديه . أما شخصانية (مونية) المعشرية ، فقد كانت الرؤية الفلسفية الأساسية التي انطلق منها (محمد عزيز الحبابي) ، وأسس بالاستناد إليها رؤيته الفلسفية الشخصانية الإسلامية _ الواقعية للإنسان وحرية .

غير أن اعتماد المفكرين العرب المذكورين على الرؤى الفلسفية المقتبسة من الفلسفة الغربية ، واتخاذها منطلقاً نظرياً لبناء رؤيتهم الفلسفية الخاصة للإنسان وحرية ، بناءً يؤسس مشاريعهم

ثانياً : مراجع البحث :

أ - المراجع الأجنبية :

- ١- Brehier, Emile , les thèmes actuels de la philosophie contemporaine, press universitaire de France (٢ en) ed. Paris , ١٩٥٠ .
- ٢- Fichte ,J.G. oeuvres choisies de philosophie première ,trad, A. Philonenko , vrin, paris . ١٩٨٠ .
- ٣- Foulquie Paul, traite Élémentaire de philosophie , tome١, Psychologie, les éditions de l ecole , paris , ١٩٤٧ .
- ٤- Foulquie Paul, traite Élémentaire de philosophie, tome٢, Métaphysique les éditions de l ecole , paris , ١٩٤٧ .
- ٥- Garaudy ,Roger , la liberté , éditions sociales , Paris , ١٩٥٥.
- ٦- Gramshi , cahiers de prison, Gaillimard . Paris , ١٩٧٨ .
- ٧- Gueroult, Martial, l évolution et la structure de la doctrine de la science chez Fichte . Tome ١ . Paris , ١٩٣٠ .
- ٨- Hardy, Gilbert .G, la vocation de la liberté chez louis lavelle, éditions Nauwelaerts , louvain , ١٩٦٨.
- ٩- Heidegger, Martin, de l essence de la liberté humaine, introduction a la philosophie , trad. . Emmanuel Martineau , Gaillimard , paris , ١٩٨٧
- ١٠- Isaye , Gaston , Logique Dialectique et liberté , dans la liberté , édition de la baconniere , Neuchatel , ١٩٤٩ .
- ١١- Lavelle , louis, traite des valeurs, press universitaire de france, paris, ١٩٥٥ .
- ١٢- Léon, xavier, la philosophie de Fichte Alacan , Paris , ١٩٠٢ .
- ١٣- Metz, Andrea , liberté science et Logique , dans la liberté , édition de la baconniere Neuchatel , ١٩٤٩.
- ١٤- Mounier, Emmanuel, le Personnalisme , du Seuil , Paris , ١٩٤٩ .
- ١٥- Philonenko,A. la liberté humaine dans la philosophie de Fichte , vrin , Paris . ١٩٨٠ .
- ١٦- Richard Michel. la pensee contemporaine , les grands courants,chronique soiale, ١yon, ١٩٧٧ .
- ١٧- Russ, jacquelin, la marche des idées contemporaines , colin,paris, ١٩٤٤.

ب_ المراجع العربية :

- ١_ ابراهيم ، زكريا : مشكلة الحرية ، مكتبة مصر ، القاهرة ، د . ت .
- ٢_ ابراهيم ، زكريا : مشكلة الإنسان ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، د . ت .
- ٣_ بدوي ، عبد الرحمن : الدفاع عن القرآن الكريم ضد منتقديه ، مكتبة مدبولي الصغير ، القاهرة ، ١٩٩٨ .
- ٤_ بدوي ، عبد الرحمن : دفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم ضد المنتقذين من قدره ، ت . كمال جاد الله ، الدار العالمية للكتب ، القاهرة ، ١٩٩٩ .
- ٥_ برقايوي ، أحمد : الفلسفة العامة ، جامعة دمشق ، دمشق ، ١٩٨١_١٩٨٢ .
- ٦_ برقايوي ، أحمد : العرب وعودة الفلسفة ، ط٢ المزيده ، دار طلاس ، دمشق ، ٢٠٠٤ .
- ٧_ برقايوي ، أحمد : الأنا ، دمشق ، ٢٠٠٥ .
- ٨_ برقايوي ، أحمد : محاولة في قراءة عصر النهضة ، الرواد ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٨ .
- ٩_ الخولي ، يمنى طريف : الحرية الإنسانية والعلم ، دار الثقافة الجديدة ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٩٠ .
- ١٠_ الرزاز ، منيف : الحرية ومشكلتها في البلدان المتخلفة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٥ .
- ١١_ زكريا ، فؤاد : الصدفة العقل العالم ، في الفكر المعاصر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، عدد ٧٥ ، القاهرة ، ١٩٧١ .
- ١٢_ زكريا ، فؤاد : العلم والحرية الشخصية ، في الفكر المعاصر ، آفاق الفلسفة ، المركز الثقافي العربي للطباعة ، ط١ ، عدد٦ ، لبنان ، ١٩٨٨ .
- ١٣_ سلامة ، يوسف : مفهوم السلب عند هيغل ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠١ .
- ١٤_ الشريف ، ماهر : ماركسي مهموم بمهموم الفكر والواقع العربيين ، الطريق ، العدد ٢ ، سنة ٥٦ ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- ١٥_ صعب ، حسن : الإسلام وتحديات العصر ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨١ .
- ١٦_ العروي ، عبد الله : مفهوم الدولة ، الدار البيضاء ، ١٩٨١ .

- ١٧_ القرني ، عزت : تأسيس الحرية ، مقدمة إلى أصوليات الإنسان ، دار قباء ، القاهرة ، ٢٠٠١ .
- ١٨_ قطب ، سيد : العدالة الاجتماعية في الإسلام ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
- ١٩_ ماركسي وانجلز : مختارات ، مجلد أول ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧٧ .
- ٢٠_ مرقص ، الياس : نقد العقلانية العربية ، دار الحصاد ، دمشق ، ١٩٩٧ .
- ٢١_ مجموعة مؤلفين : مستقبل الإسلام ، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠٤ .
- ٢٢_ منهجنا في الفكر القومي الاشتراكي ، مكتب الإعداد الحزبي القطري ، دمشق ، ١٩٧٩ .
- ٢٣_ نصار ، ناصيف : طريق الاستقلال الفلسفي ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- ٢٤_ نصار ، ناصيف : منطق السلطة ، دار أمواج ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٥ .
- ٢٥_ هنا ، غانم : الفلسفة الاجتماعية ، الاتحاد ، دمشق ، ١٩٨٩ .
- ٢٦_ هنا ، غانم : من أيديولوجيا السلطة إلى الدولة ، في مفاهيم وقضايا إشكالية ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

الموسوعات :

- ١_ بدوي ، عبد الرحمن : موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ١٩٨٤ .
- ٢_ زيادة ، معن : الموسوعة الفلسفية العربية ، مج ١ ، معهد الإنماء العربي ، لبنان ، ١٩٨٦ .